**الاستعداد لـ "أين الطريق"**

**لماذا اشتدت الحاجة لمعرفة إجابة سؤال "أين الطريق؟ "بوضوح في عصرنا الحالي أكثر من أي وقت مضى؟!**

الفتن الآن مدلهمة مستحكمة شديدة، والطريق ملتبسة، والاجتهادات كثيرة، وأحيانًا تكون الطريق معتمة والاختلافات حولها كبيرة، وابتعدنا عن عصر النبوة كثيرًا وصار الناس يختلفون في فروع العلم، وأحيانا كثيرة يعادون ويوالون فيها وابتعدوا كثيرا عن أصول ومركزيات الدين، وفي ظل هذه الاتجاهات والاختلافات يحتاج المسلم الصادق في رغبائه إلى الله أن يعرف أين الطريق؟ وأن يعرف كيف يسلك الطريق إلى الله عز وجل؟

هناك فارق هائل بين أن أحدثك مرة عن مَعْلم من معالم الإسلام، صلاة، صيام، زكاة، حج، جهاد، الحُكم بما أنزل الله وبين أن أُجلِّي لك الصورة الشمولية باكتمالها، بمنهاجها والعلاقة بين أجزائها بالنسب والمسافات، وما هو الصغير وما هو الكبير وما هو الأول وما هو الذي بعده وماهو الذي يقدم وماهو الذي يؤخر.. هذا وصف يقوم به فقه العقل الإسلامي لمنهج الإسلام.

لذلك مراعاة النسب والأولويات والمسافات بين مركزيات الدين ومعالمه .. أمر نحن مقصرون في ذكره أو لا يكاد يذكر في الخطاب الدعوي.

دعوني أُوصِّف لكم مايقوم عليه أغلب الخطاب الدعوي اليوم..

يتحدث الداعية اليوم عن مفردة من مفردات الدين ثم غدًا مفردة أخرى ثم أخرى ثم أخرى وهكذا، أما العلاقات بين كل مفردة وأخرى يكاد لا يتم تناولها أبدًا، ولذلك قوي المسلمون في المفردات، وجهلوا فقه النظر إلى المنهج الإسلامي.

فكيف يجمع المسلم بين هذه المفردات؟!

لذلك في هذا الكتاب سنتناول بيان المنهاج الكامل الذي يجيب عن سؤال أين الطريق؟ والذي يُبيّن خطوات إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

هذا الكتاب يستهدف صنفًا معينًا مِن القُرّاء و المتلقين، من ضمن صفاتهم أنهم يلقون عنهم مايشتتهم ويقبلون على الفهم والإدراك والاستيعاب ولاتمر عليهم الكلمات بدون فهم معانيها وما ترمي إليه، هذا الصنف يقرأ ليقول لنفسه أنا فهمت وأدركت معنى كذا وكذا، لا ليقول أنهيت كتاب كذا وكذا، ومن فهم وأدرك واستوعب يستطيع أن يطبق المعاني ويحولها إلى عمل، ويستطيع أن يحمل المعاني لغيره بتفاصيلها وشرحها، ويستطيع أن يربطها بالواقع العملي، تراه وكأنه يبث في الكلمات حياة بعيدة عن جفاء السطور السوداء على ورقات الكتب.

**✅**

فأنت تعلم أيها الكريم كم تأخرنا كثيرًا، ولايغيب عن ذي لُبٍّ حجم المحنة التي تمر بها الأمة الاسلامية وشدتها، وما أجمل تعبير الشاعر الحكيم الذي وصف المحنة بكلمات دقيقة..

قد اتسع الخَرْقُ والراقعون … نيامٌ، ويقظانُهم حائرُ

وذو الرأي فيهم بطيءُ الخُطا … بليدُ المدى عزمُهُ خائرُ

وذو العزم جُنَّ أنانيةً … وأفسدهُ المَسلكُ الجائرُ

قد اتسع الخرقُ والرتق أعيا … وطوَّقنا الخطر السائرُ

من يُعوَّل عليهم في إصلاح حال الأمة نيام، واليَقِظ منهم حائر لا يعرف الطريق، وذو الرأي فيهم بطيء العمل، ضعيف الهمة والعزم.

وذو العزم أُعجب بنفسه وركن لقدرته، فجُن أنانية وأفسد عمله بسلوكه الطريق الخاطئ. **✅**

**ولكن، أخي قبل أن تنطلق في هذا الطريق وتخطو خُطواته لابد أن تعرف لماذا يجب أن تخطوها وما الهدف منها؟ ..**

الهدف الرئيسي في نهج الإسلام هو صناعة الكتيبة التي يُبنى عليها شأن الأمة، حيث كان جيل الصحابة رضوان الله عليهم هم النواة الصلبة التي تجمعت حولها الأمة الإسلامية.

ومن العجيب في سيرة نبي الله موسى -عليه السلام- أن جزءًا كبيرًا منها كان في التيه، وقبل فترة التيه أُرسل -عليه السلام- إلى فرعون، وقال له أسلم وأرسل معي بني إسرائيل وعندما رفض فرعون خرج موسى -عليه السلام- ببني إسرائيل مطاردًا، وعندما رفضوا دخول الأرض المقدسة حَكم الله عليهم بالتيه أربعين سنة، وفي نهاية هذه الفترة توفي نبي الله هارون -عليه السلام- أولًا، ثم توفي نبي الله موسى -عليه السلام- ففيمَ قضى نبي الله موسى فترة التيه؟

كان هدفه -عليه السلام- أن يستخرج من الأمة التي اعتادت السجود والركوع بين يدي فرعون جيلًا آخر لا يسجد ولا يركع إلا لله رب العالمين، وتحقق له تكوين النواة التي يقوم عليها الإسلام الذي هو دين نبي الله موسى ودين كل الأنبياء عليهم السلام،حيث كان موسى عليه السلام مسلمًا حاملًا رسالة الإسلام إلى قومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: 84]

وعندما أتم موسى -عليه السلام- مهمة إنشاء النواة المؤمنة قُبض إلى الرفيق الأعلى، وتولى الجيل الذي صنعه ورباه دخول الارض المقدسة، ثم جاء العصر الذهبي لبني إسرائيل في عهد داوود ومن بعده سليمان عليهما السلام وآتاهم الله الملك والحكمة(النبوة مع الملك) ولأول مرة يجتمعان في الجيل الذي جاء من بعد موسى عليه السلام، وبذلك صنع المربي الأول الكتيبة المؤمنة الأولى وهكذا صنعت الكتيبة الأولى كتائب الإيمان من بعدها. **✅**

وهكذا كان خاتم المرسلين محمد ﷺ، عندما توفي كانت الدعوة محدودة في منطقة جغرافية معينة وهي شبه الجزيرة العربية التي هي مقسمة لعدة دول في يومنا هذا، ولم يكن الإسلام وقتها منتشرا في قارات العالم مثلما نراه في عصرنا هذا بفضل الله، فتتعجب وتفكر!! نبي مرسل إلى الناس كافة ومرسل للثقلين ونزل القرآن لتأكيد هذا المعنى..

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبإ: 28]

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]

ومع ذلك عندما توفي ﷺ لم تجاوز دعوته إلا بقعة جغرافية محدودة، فكيف إذن انتشر الإسلام لكل بقاع الأرض؟! سنجد أنه ﷺ أيضًا صنع النواة التي حملت الدين من بعده للعالم كله، وكانت خير أمة أخرجت للناس، وانطلقت هذه المجموعة شرقا وغربا في البناء والتأسيس وصنع الأجيال المؤمنة، لذلك كانت مخاوف النبي ﷺ في غزوة بدر أن تهلك هذه الثلة المؤمنة فكان يدعو: ((اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدًا)) **✅**، وكانت هذه هي الفئة التي صُنعت وتربت على يد النبي ﷺ على مدار خمسة عشر عاما قبل غزوة بدر وكانت هي الرصيد الحقيقي للأمة، وهي الفئة القائمة بأمر الله**✅**، رغم أن غزوة بدر كانت غزوة صغيرة بالنسبة لما تلاها من غزوات ومعارك وكان عدد الصحابة فيها ثلاث مئة وثلاثة عشر مجاهد فقط مقابل ألف مقاتل من مشركي قريش، إلا أن الله جعل بدرا هوية لمن شهدها فيقال لأحدهم هذا بدري، لأنها كانت أول مجموعة يقوم عليها شأن الأمة المسلمة.

**السلوك إلى الله ليس عشوائيًا ولكنه طريق له خطوات:**

طريق الإسلام هو أن نتناول خُطة ديننا وما أنزله الله تعالى بترتيبه ومنهاجه، لا بحسب ما يُلقيه إلينا خصومنا، يشغلوننا به: فيلقون لنا موضوعًا، ننشغل به، ثم يلقون لنا موضوعًا آخر، فننشغل به، أو أن ندعوا إلى الإسلام كأمر أفقي عرضي مسطح، نتحدث مرةً هنا، ومرةً هناك، دون أن يكون لنا طريق متسق الخطوات، طريق طولي، طريق مستقيم سَمّاه الإسلام هكذا:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام: 153]

فكانت تلك دعوة وإشارة للدّعاة أن يتكلموا في طريق شأنه أنه مستقيم، يُنجزون خطوةً ثم يتكلمون في التي تليها، حتى يأخذوا بأيدي أنفسهم وأيدي الناس باستقامة واستمرار خُطوةً خُطوةً بدون توقف إلى رضوان الله -عز وجل- إذن الدعوة ليست أن نتكلم في أمور سطحية أو أفقية، وإنما أن نتحدث بانتظام وبخطوات ...هذا هو السلوك إلى الله.

ومن أهم الشواهد المصدقة لهذا الشأن حوادث دلت أن النبي -صلوات الله وسلامه عليه-كان يأتيه أحد الصحابة له مسألة محددة " فكان النبي ﷺ يُرشده، و يقول له: "لا، ليس الآن"، "لم يحن الوقت بعد"، ((إنَّه مَن يَعِشْ منكم بعدي، فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ مِن بعدي، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضَلالةٌ))

في غزوة أُحد قال النبي ﷺ للصحابة في مجلس للشورى حول تحديد مكان الغزوة: ((لو أنا أقمنا بالمدينة، فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم)).

فقالوا: "يا رسول الله، ما دخلوا علينا فيها في الجاهلية، فكيف يدخلوا علينا فيها في الإسلام؟!"

فقال: ((شأنكم إذًا)). (يلاقوا العدو خارج المدينة)

فلبس النبي ﷺ لَأْمته، فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاؤوا فقالوا: "يا نبي الله شأنك إذًا" (ينتظروا العدو داخل المدينة حتى تتفرق قواهم)

فقال ﷺ: ((ليس لنبيٍّ إذا لبِس لَأْمَتَه أن يضَعَها حتى يُقاتِلَ)) أي: هذا أمرٌ ما كُنّا لنرجع إليه بعد أن عزمنا على خلافه، خطوة وانتهت لا يَرتد إليها ولايتردد بعد العزم ثم يكمل المسير،، فالدين يرتِّب للإنسان خطواته. ولذلك بلغ الإسلام نتائجه ونجاحاته في فترة زمنية تُعد معجزةً.

لا توجد أيّة عقيدة أو أيّ دين أو أيّ منهج آخر بلغ مَبلغه بهذه السرعة في مثل هذه الفترة الزمنية.

في هذه الفترة الزمنية كان هناك ضِفّتان: ضِفّة لا إسلام فيها مطلقًا، والضفة الأخرى إسلامٌ كامل.

**الضفة الأولى التي لا إسلام فيها**: سُئل النبي ﷺ، عن رجل فيها آمن ووحد الله -كان اسمه (زيد بن عمرو بن نفيل)- فقيل له: "يا رسول الله إن رجلًا وحَّدَ اللهَ قبل بِعثتك"، فقال النبي: ((إنه يُبعَث يوم القيامة أمة وحده)).

يُبعَث يوم القيامة أُمّةً وَحْدَهُ! هو أُمة بمفرده! لماذا؟ لأنه كان وحده موحدًا ولم يكن هناك توحيد أبدًا على الأرض .

الإسلام الذي بدأ في البداية تعلوه لافتة: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: 26]

عجبًا! أهكذا بدأ المسلمون؟! يخافون أن يتخطَّفهم الناس وضِعاف، وقليلٌ، ومستضعفون، ومعذَّبون و، و... ما من أحد منهم يجدُ مكانًا آمنا يصلّي فيه! **✅**

**ثم على الضِفّة الثانية،** نُفاجأ فيها بقول اللهِ -عز وجل- في آخر عُمر النبي ﷺ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: 3]

فالمسألة منتهية، لقد اكتمل الدين ويئس الشيطان أن يَعبُدَه المصلّون في جزيرة العرب.

قالﷺ: ((إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ)).

هذه مسافة واسعة جدًا، منذ أن كنا قليلٌ مستضعفين نخافُ أن يتخطفنا الناس إلى أن: ((يئس الشيطان أن يعبدهُ المصلّون في جزيرة العرب))... انتهى الأمر، الشياطين يئِسَت من الإسلام ولن تنال منه، والكفار المشركون يئِسوا من الإسلام، كل هذا حدث في هذا الوقت!!!.

الضِفّتان بعيدتان جدًا، ضِفّة ليس عليها إسلام مطلقًا، وضِفّة بلغ الإسلام فيها حد الكمال والتمام والاستقرار لدرجة أن يئِس خصومه من أن يَقتَلِعوه! **فما الذي وصل بين الضِفَّتين؟ ما هي هذه القنطرة أو الجسر الذي وصل بين الضِفَّتين؟**

هذا هو طريق المسلمين و طريق الدعوة، هذا هو ما يجب أن يتحدث فيه الداعية ويبينه، وأن يأخذ بأيادي الناس سيرًا مستقيمًا حثيثًا ليصلوا إلى رضوان الله، لا أن يجعل دعوته عبارة عن حديث عما يلقيه إلينا أعدائنا أو ما تنشره وسائل الإعلام وكل غريب يظهر في مواقع التواصل **✅**

ولذلك، فإنّ هدفنا ومِنهاجنا وعقيدتنا واعتِصامنا أنْ نجد الطريق المستقيم المباشِر لننفض عنه الغبار ولِنُبَيّنَ للمسلم الصادق ما هو هذا السبيل، وخصوصًا أننا نصل إلى هذا عن طريق استكشاف سُنّة النبي ﷺ.

**ماذا تعني السُنّة؟** تعني طريقةً، تعني مِنهاجًا: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: 48]

فأين مِنهاج الرسول؟ **ما هو المِنهاج؟** هو طريق مرتَب الخطوات، ونرى الناس في عصرنا هذا ينشغِلون بالشِّرعة فقط، ويغفلون عن المنهاج النبوي لتطبيقها، والله تعالى قال: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾

**فلماذا ينشغِلون بالشّرعة ويتركون المِنهاج؟** والآية ذكرت الأمرين!

لهذا نحن نستكشف مِنهاج النبوّة، ونستكشف لا تعني أن هذا شيء جديد غير معروف، بل تعني أن نعيد طرحه للمسلم الصادق ليفهمه، ويستوعبه، ويسير عليه، ولماذا نستكشفه؟، لأن الرسول ﷺ قال كلمةً في قمة الخطورة، قال للمسلمين، وللأجيال، وللأمة : ((إنَّه مَن يَعِشْ منكم بعدي، فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ مِن بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأمورِ؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضَلالةٌ))...

اختلافٌ كثير جدًا، لكل واحد نظرته ورؤيته حتى من المخلِصين الصادقين، فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ ماذا نفعل في هذا الاختلاف الكثير؟ قال: ((عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي))، يعني طريقتي، ومِنهاجي، وليست السُنّة هي الجزيئات، السُنّة هي اكتمال المِنهاج، ((...بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّين مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))...بالنواجذ:أي تمسكوا بها وعضّوا عليها بجميع الفم، إيّاكم أن تَنفَلِت من بينكم... إياكم أن تضِلّوا الطريق، إياكم أن تنصرفوا عن الطريق، إياكم أن يَنطَمِس الطريق المستقيم.

**وهل يمكن أن يَنْطَمس الطريق المستقيم؟** نعم، يمكن أن يغيب وينْطمس بسبب كثرة الثقافة الإسلامية: أتكلم في كذا وكذا وكذا وكذا...، أتكلم في فروع وتفصيلات كثيرة وأنشغل بها كثيرًا، فلم يعد الطريق المستقيم واضحًا بالنسبة لي.

مثلًا: عندما أخرج من بيتي إلى عملي، أعلم أنه يجب عليّ أن أسير في طريق محددة أن أمُرَّ على هذا الجسر، ثم يجب أن أمشي في هذا الشارع، ثم يجب أن أنحرف يسارًا عند هذا الميدان، ثم أتجه يمينًا عند هذا المبنى… طريق محدد. فلو أنني عِوَضًا عن أن أتعلم هذا الطريق و أسير فيه بدأت أتعلم الجغرافيا كلها ونسيت الطريق الذي يوصلني للعمل، و غمرت نفسي بأطنان من الثقافة في الجغرافيا، فصرفتني عن الخط المستقيم... فهذا ليس مَنهج الإسلام.

والعلم النافع ليس إلقاءُ افتراضات نظرية، وليس رياضةً عقليةً، مثل شخص يقول: أرأيت لو كان كذا ...؟ فماذا كان لِيكون؟…. وعلماء الشرع في التاريخ الإسلامي يُسَمونَ من يقوم بهذه الافتراضات "الأَرَأَيْتِيِّين"، يعني: أرأيت لو حدث كذا...؟ .

ولذلك كان مِن علمائنا من أئمة المذاهب مَن إذا سُئِل عن شيء ووجده غريبًا، كان قبل أن يجيب، يقول: "هل وقع هذا الأمر؟" فيُقال: "لا، لم يقع". فيقول: "إذن لا تسألني عنه"،وقد يعترض أحدهم ويقول: "نريد فقط أن نجهز أنفسنا، وماذا لو حدث كذا ...؟"

" إذن لا بد من وجود النفع والمصلحة، فإن وُجِدت المصلحة في الطرح، اطرح! أما أن أظل أسير، وألقي بأطنان من الثقافة وأترك الطريق، هذا مما أضلَّنا...

ولذلك، لمّا كان الصحابة يسألون عن شيء لم يقع بَعد، الرسول ﷺ كان ينهاهم، يقول: ((إنَّما أَهْلَكَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ. دَعُونِي ما تَرَكْتُكُمْ، إنَّما هَلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عن شيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وإذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُمْ)). **✅**

**التدرج في إيصال الحق للناس:**

هناك مبدأ من المبادئ الكبرى التي يجب أن يعيها كل مسلم: الدعوة الوحيدة التي يصدق عليها اسم أنها دعوة الإسلام الراشدة هي الدعوة التي تراعي أن المستجيب ينتقل من درجة إلى درجة فتتعامل معه على الدرجة الجديدة لتعده وتنقله إلى الدرجة التي تليها.

وكأنها صفوف دراسية متدرجة، يُدرس فيها المعلم للطالب مواد الصف الأول و ينهيها كاملة حتى ينتقل إلى الصف الثاني، فلن يظل المدرس يُدرس للطالب طيلة عمره مواد الصف الأول، بل ينتقل إلى كل صف بدراسة جديدة.

وهكذا الدعوة التي تدور بالمستجيب في نفس الدرجة، وتقول له: صَلِّ وادع واقرأ قرآن وصُم وزَكِّ، ثم ارجع وأعد نفس العمل، دون أن ترتقي به لدرجات أعلى!! هذه ليست دعوة صحيحة وإنما هي تدليس وإخفاء لحقائق الدين وكأنها تقول للناس ابقوا على مانحدثكم به ولاترتقوا فوقه،فيظن المستجيب للدعوة أن الإسلام هو ما يقوم به فقط دون باقي أوامر وجوانب الدين الأخرى، ولايوجد في الإسلام.. مايسمى بأني سأصل لدرجة إيمانية معينة وأثبت عندها، وإنما الإيمان إن لم يزد فهو في نقصان ونفسك إن لم تشغلها بمزيد طاعة شدتك إلى مزيد معصية.

الدعوة مهمتها أن تنقل العبد من درجة لأخرى وليس أن تتركه يدور في نفس الدرجة.

أبي بكر الصديق هو أكثر الناس إيمانا بعد النبيﷺ وكان أشد الناس استجابة لأمر الله ورسوله وبعد ثلاثة عشر عامًا علم أن الهجرة واجبة على كل مؤمن فاستجاب وهاجر مع النبي ﷺ، وبعد الهجرة جاء الأمر بالجهاد في سبيل الله فاستجاب لأمر الله ورسوله، فأبو بكر يعلم أنه إن لم يرتقي في الدين درجة بعد درجة واستجابة لأمر بعد أمر فإنه لن يصل إلى رضوان الله عز وجل.

الدعوة هي نقل المسلمين خطوة بخطوة، وليست ارضاءً لأحد، وابقائه على أول خطوة، وأن يظل في المحراب ويغلق على نفسه، فلو كانت هذه دعوة الإسلام لرضي بها أبو جهل، ولم يخاصم رسول الله ﷺ ويحاربه عليها، لو كان الأمر هكذا لرضي صناديد قريش ولم يعذبوا بلال وعمار ولم تُقتل سمية، وإنما الإسلام له منهاج واضح وحركة متدرجة متصاعدة.

**ماذا سنتعلم في أين الطريق؟**

بالنظر إلى مواضع اجتماع المسلمين على تدارس العلم منذ البعثة إلى يومنا هذا نجد أن اللقاء المنتظم هو سُنّة من سنن الإسلام وعزمة من عزماته الأكيدة بدايةً من دار الأرقم إلى خطبة الحج، وخطبة الجمعة هي لقاء أسبوعي بين المسلمين حول دينهم، ولوأتى على المسلمين زمن فقدوا فيه كل نشاط دعوي يقومون به في المساجد من دروس وما إلى ذلك وبقيت الفريضة الجامعة، كأن يصلّوا الجمعة لكفتهم؛ فإن الله تعالى أراد بها أن تظل رابطة المسلمين حول الإسلام في اجتماعهم بشكل دوري لصلاة الجمعة.

ومما ذكره ابن القيّم في كتابه زاد المعاد في شرح ما يتعلق بصلاة وخطبة الجمعة ... "وكان رسول الله ﷺ يُعلِّم أصحابه قواعد الإسلام وشرائعه في خطبة الجمعة "، هذا المعنى يدعوك للتفكير طويلًا … جميعنا نذهب إلى صلاة الجمعة فنجد الدعاة ربما يتحدثون عن الأمور البسيطة أو عن سفاسف الأمور، في حين أن النبي ﷺ كان يُعلِّم الناس في خطبة الجمعة قواعد الإسلام ومركزياته، وغياب هذا المفهوم عن الخطباء، والدعاة، والمتحدثين، قلل من قيمة الدعوة وتأثيرها العميق في النفوس، وصارالخطباء على المنابر ينشغلون بالفروع ويغفلون الأصول والكُلِّيات، وعندما تستقرئ خُطَب النبي ﷺ، سترى بوضوح كيف أقام النبي ﷺ في صدور المسلمين الأوائل قواعد الإسلام، فأصبح الواحد منهم إمامًا يهدي الله به أمة: هذا فتح الله به العراق، وهذا هدى الله به الشام، وهذا فتح الله به مصر، وهذا ذهب إلى أقصى المشارق، وهذا ذهب إلى أقصى المغارب، وهذا توغَّل شمالًا، و هذا دخل في الأدغال جنوبًا، فهم حقًا فقهوا قواعد الدِّين.

واليوم اشتدت الحاجة لأن يعود المسلمين لتطبيق هذه السنّة في الخطاب الدعوي، أن يتحدثون عن قواعد الإسلام و بنائه في النفوس، فالإسلام أصولًا وفروعأ محفوظًا في الكتب، ولكن يحتاج المسلم أن ينتقل بالإسلام من التحقيق في الكتب والمصنفات إلى التطبيق عند الأفرادٍ، حتى يصير الفرد المسلم معبِّرًا عن الإسلام بحديثه، وبذاته، وعقيدته وقلبه النقي وبعقليته الفاقهة، فيصير وجوده في حد ذاته قلعة من القلاع الثابتة التي تُعَبِر عن الإسلام وقواعده.

وما سيتم طرحه في هذا الكتاب، ليس تنظيرًا حول مسائل فقهية، أو دعوية، أو وَعظيَّة، وإنما هو طرح حول فهم وفقه تكامُلٍ المفاهيم الإسلامية.

الإمام البخاري صَنَّف أكثر من خمسين بابًا في العلم؛ منهم باب الفهم في العلم.. أليس العلم هو الفهم؟ .. هناك فرق بين العلم والفهم، فإن الفهم هو النظر في ملابسات الأمور وفي قراءتها وفي مقارنتها بغيرها وفي إدراك مُراد الله تبارك وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾

قال ابن عباس في تفسير (شِرْعَةً و مِنهَاجًا): "سبيلا وسُنة"، ومعنى قول ابن عباس: أن **الشِّرعة هي السبيل** الموصل إلى توحيد الله تعالى وإقامة مراده، وهي الشريعة.

**والمِنهاج هو السُّنة،** والسُّنة هي الطريقة يعني الطريق الواسعة المسلوكة، المداوم عليها لتطبيق الشريعة.

هذا التفسير لمعنى الشرعة والمنهاج اجتمع عليه أئمةٍ من القرون الثلاثة الأولى، وما تلاها من قرون الفقه، والعلم والتحقيق، مثل ابن القيم، و ابن عباس، وابن كثير وغيرهم ...وهؤلاء يتحدثون عن الإسلام أنه قواعد وطريقة لتطبيق القواعد، أن هناك حق، وهناك طريق لإقامة هذا الحق.

وهناك من الصادقين من يبحثون ويتسائلون أين الطريق؟ والتبست عليهم الطرق، وفي هذا الكتاب، نحاول فك الالتباس من هدي القرآن وهدي خاتم المرسلين.

**الفرق بين المنهج الصحيح للإسلام وبين تطبيق المسلمين له:**

أيها الكريم، هناك اليوم بَوْنٌ شاسع، بين المسلمين الملتزمين بالإسلام، المستجيبين للدعوة وبين الإسلام ذاته الذي أراده الله عز وجل، هناك فارق كبير جدًا بين المسلمين، ممن تظهر عليهم مظاهر الإسلام، من أهل المساجد،وبين منهج الإسلام، فهؤلاء لم يُهدَوْا، ولم يُفَهَّموا، ولم يُدَلُّوا على هذا المنهج الصحيح .

من أبرز الأسباب لحدوث هذا الفارق الشاسع.. أن منهج المسلمين اليوم منهج انتقائي وكأنه شيء أفقي مُسَطَّح ينتقي الناس منه ما يروق لهم …

وبالمثال يتضح المقال.. المسلم يُريد أن يدخل الجنة، فمثلًا رعاية الأيتام أعجبته فينْبعث لرعاية اليتامى... أو أعجبه قيام الليل فينبعث لقيام الليل... أو أعجبه حديثٌ عن الصدقات وأنها وقاية للإنسان من النار، فبذل وُسعه في الصدقات والإنفاق ... وكذلك إنسانٌ وجد أن الإطعام سبيل لدخول الجنة ((أَطْعِمُوا الطَّعَام، وصَلّوا باللّيل والنَّاسُ نِيام وأفشُوا السّلام، تدخلوا الجنّة بسلام)) فيشتغل في الإطعام ولو باليسير، كل هذه أبواب من أبواب الخير وهؤلاء الكرام لا شك أن لهم مستند من حديث رسول الله ﷺ حيث قال: ((مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))، لكن ما يطبقه الناس هو منهجٌ انتقائِيْ...

**ماذا تعني "الانتقائية "؟**

تعني أن ينتقي الإنسان ما يعجبه من الطاعات، يقول ما أجمل قيام الليل! وذِكر الله عليه أجر كثير، مع الإطعام … وكأنه يصنع تجميعة من الطاعات خاصًة به ويحصر قيامه بالدين فيها ليُرضي ذاته وأنه يؤدي ما عليه تجاه دينه، نعم هذه قُربات لله، لكن ليس هذا منهج الإسلام.

منهج الإسلام ليس منهجًا أُفُقِيًا، بل هو منهج رأسي تصاعدي، خطوة تلو خطوة،منهج عبارة عن سير للأمام،.. ومنهج المسلمين اليوم، ومنذ سنين منهج أفقي انتقائي، فما من أحد يتقدم للأمام.

ولذلك المسلمون اليوم لا يَصِلون؛ ولم تنجح الدعوات والحركات وما إلى ذلك لأنهم لا يسيرون للأمام، فهم يَدُورون في دوائر مغلقة.

وحال المسلمين اليوم أنهم يحدث لهم إرضاء نفسي عما يقومون به تجاه الدين، **فمن أين أتى هذا الإرضاء؟** يأتي من أن المسلم خرج من الصلاة قد بكت عَيْنُاه وتذكر دعاءه الضارع وذِكره وإنفاقه وصومه... فيخرج بدرجة من الرضا عن نفسه تجعله يكتفي بمايقوم به.. لكنه غير منتبه ولا يعرف أن هذا الرضا رضا عما يخالف منهج الإسلام، والحل أن نُعَرِّفَه منهج الإسلام .

و من يقرأ في سيرة النبي ﷺ يجد أن الدين كان يعلو في كل عام أكثر من العام الذي سبقه.

والمسلمون اليوم يُخدِّرون أنفسهم، راضون بالدوران في المُسَطّح الأفقي فحسب . ولذلك ستبقى أمريكا تعلو، وروسيا تعلو، والصين تعلو، واليابان تعلو، وغيرهم.. ويبقى المسلمون المتطفلون على هذه الموائد -كما يُسمّونهم- لأنهم لا يتحركون للأمام.

من أجل هذا رأينا أن يكون هذا الكتاب مُبينًا: أين الطريق؟ كيف المسير؟ ماذا نفعل؟ ما المطلوب على مستوى الأفراد وعلى مستوى المجتمعات وعلى مستوى الأمّة الإسلامية، كيف نتحرك نحو الأمام؟ ما هو المطلوب؟

قد نبدأ بأمور أنت تراها معروفة وبسيطة كالرابطة بالله، والعبادة والنُّسك، والرابطة بالآخرة...لكن اصبر وسترى هذا المعروف والمشهور لديك من زاوية مختلفة عما اعتدت عليه عندما تضعه في خريطة الدين الكاملة الشاملة وستصل إلى العلاقات بين هذه المفاهيم المركزية، وستنتهي بإذن الله إلى عَزَمات الإسلام التي أوصلت أمير الدولة الاسلامية حينئذٍ إلى أن يقف في يوم من الأيام وينظر إلى السحابة ويقول لها: "أمطري أنَّى شِئْت فسيأتيني خراجك"، فليس هناك إلا الأرض الإسلامية، لن تمطر في مكانٍ إلا و سيأخذ المسلمون خراجها، وهذه العزمات يقل ذكرها في الخطاب الدعوي ولو ذُكرت، تذكر مقطوعة من سياقها.

عُلُّو الإسلام منذ البعثة إلى التمكين استغرق ثلاثة وعشرون عامًا، فقط؟!

في زماننا اليوم ارجع للوراء ثلاثة وعشرون سنة، ماذا حققنا؟ وقبلها بثلاث وعشرين سنة أخرى ماذا أنجزنا؟

قارِن حالنا بزمان النبي ﷺ، ستجد أن المسلمين في كرب وستجدهم مرتبكين، وكأنهم عالقين في بكرة خيطٍ متشابكة لا يخرجون منها وكل ما في الأمر أننا كنا ومازلنا نرضى بالشيء القليل من الطاعة والعبادة،ونسي كل منا أنه لايوجد مايسمى بمستوى إيماني ثابت (يعني أقوم بمجموعة من الطاعات لأحافظ على مستوى معين يشعرني بالرضا عن ذاتي) فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فقطعا إن لن يزد إيمان المسلم فهم قطعًا ينقص.

**الفرق بين معرفة الطريق ومكابدة الطريق:**

معرفة الطريق ليست هي معايشته، وليتبين الفرق بينهما.. نعيش مع بلال ابن رباح رضي الله عنه في أسطر قليلة لنرى كيف عايش وكابد طريق الإسلام..

بلال ابن رباح، عبد حبشي يملكه سيد من قريش يعيش غريبا بين الناس يعاملونه معاملة قاسية وبالكاد يشعرون بوجوده في حياتهم, من وجهة نظر المجتمع الذي يعيش فيه بلال، فقط له و لأمثاله أن يمضوا بقية أعمارهم في هذا البؤس والشقاء, ولكن هذا لم يحدث سيؤمن بلال بدين جديد وسيعيد هذا الدين صياغة سلوكه وعلاقاته وتوجيه طاقاته وإمكاناته, وبعد عدة أعوام من الجهد والصبر سيعتلي بلال ابن رباح سطح الكعبة.. أشرف مكان في قريش ليصدح بدعوة ذلك الدين الجديد دون أن يستطيع أحد إيذاءه ليس هذا فحسب فقد كان مصيره في الحياة الأخرى كما أخبرنا رسول الله ﷺ أن بلالا حجز مكانه مع العشرة المبشرين بالجنة ’ ألا يثير فضولك أن تعلم ما الذي حدث في تلك المسافة بين بلال الأول وبلال الثاني وهل كان شيئا استثنائيا يخص بلالا وحده أم أن هناك طريقة مخبوءة في جوهر الدين الذي آمن به بلال يمكن لمن اتبعها أن يحقق بها نفس النتائج...

كابَد بلال الطريق ليغير تأثير دين بشري ظَلَمه، وكاد يجعل حياته تضيع سُدى، وكرامته تهدر ويخسر دُنياه ليُعمّر دُنيا غيره، كابد ليصنع أثر دين الله في حياته، ونحن نحتاج في رحلتنا إلى مكابدة مثله..

أنت تقرأ كتابًا قد يأخذ منك أسبوعًا أو أسبوعين أو حتى شهر، قراءة فقط دون تطبيق.. فهذا لن يحقق الهدف المرجو منه،

فالتطبيق يحتاج إلى رَويَّة أكثر ومعالجة ومكابدة لوقت أطول،

هذا الكتاب يوضح لك الطريق بمواصفاته ليكون تام الوضوح أمام عينيك وقلبك، ومعدَّل قراءة الكتاب والانتهاء منه حتمًا لن يوافق معدل التحقق به ومعايشة معانيه وتطبيقها، وكذلك اكتساب الصِّفَات اللازمة.

ولذلك لا بُدَّ من المكابدة والصبر على الطريق ونحن نُعَوِّل كثيرًا على مدارساتكم وعلى تدبركم معًا للمعاني المطروحة في الكتاب عبْر مساحة زمنية أكبر مِن وقت قراءة الكتاب، لكي يحدثَ نوعٌ مِن التفاعل الشعوريِّ والعقلي والذهني معها.

فكرة مجالس التدارس لا بُدَّ أن تتحقق وتُطبق،حتى يكون هناك استفادة أعلى من مجرد القراءة، حيث يكون هناك تفنيد للأفكار من زوايا ووجهات نظر متعددة، وإسقاطها على الواقع المحيط، ومدارسة كيفية تطبيقها.. فيكون هناك مَن يكتب الملاحظات ومن يتدبر ومن يناقش وهكذا... فالتدارس لكل خطوة يكون في مدة زمنية أوسع من القراءة و التلقي، بحيث يتم تدارس الخطوة مثلًا في أربع أو خمس أسابيع أو شهرين أو ثلاثة أشهر في مجالس دورية …، بحيث تختلط بها المشاعر فتكون دافعة للعمل، فهذا الكتاب ليس كتاب تربية كاملة وإنما هو كتاب إبلاغ وبيان لخريطة الطريق.

**ملحوظات لإجراء المدارسات:**

ربما لم تعمل كمُعلِّم من قبل ولكن عليك قراءة الكتاب وكأنه منهاج أُعد لتكون أنت معلمهُ..

- تقرأ المادة.

- تختار طريقة التدريس (إن كان شرح للمادة مع نقاشها أم بعض التوضيح والبيان مع النقاش، حيث تلائم طريقة المناقشة والبحث عن طرق التطبيق مادة الكتاب وتكون مثمرة بصورة أكبر)

- تجهز محاور النقاش (ويفضل أن تكون المحاور في صورة أسئلة تفاعلية لتناسب النقاش والتفاعل، وهذا أفضل من إعدادها في صورة نقاط، حيث أن النقاط تناسب الالقاء والمحاضرة أكثر )

- عند الحاجة تطلع أكثر حول المحاور لتكون أكثر إلماما بأفكارها.

- تعد الأمثلة التقريبية والاسقاطات على الواقع.

- تُعد الأسئلة التي تستفز العقل ليفكر ويستنتج ويستنبط.

- تحدد موعد ثابت للمجلس أو اللقاء.

- تنظم الوقت بينك وبين الطلاب وبينهم وبين بعضهم بحيث لا يكون هناك مقاطعات ويتدربون على مهارة الإنصات.

- تكون مستمع جيد للطلاب بحيث يكونوا مشاركين في العملية التعليمية فتكون المدارسة نقاش أكثر منها مجرد إلقاء وتلقين.

- وفي نفس الوقت يوضح للطلاب ما أشكل عليهم كونه أكثر إلمامًا واطلاعًا حول أفكار المادة منهم.

- ولو سئلت عما لا تعرفه فلا حرج أن تبحث عما لاتعرف إجابته من أسئلتهم.

- عليك أن توصل للطلاب الأهداف من أسلوب المناقشة.. فهو إما لتثبيت فكرة صحيحة أو تصحيح فكرة خاطئة أو تعديل جانب الخطأ في الفكرة، وأيضًا للاستفادة من وجهات نظر الآخرين حول نفس الفكرة فتتكامل الرؤية.

أنت المُعلّم ومَحلُّك دار الأرقم.. عليك أن تختار طلابًا وتتدارس معهم الذي تعلمته في هذا الكتاب.. مثل: زوجتك أو أبنائك أو إخوانك أو أصحابك أو رفقاء العمل ..الخ، فكِّر بالطلاب الذين تختارهم بعناية فرسول الله ﷺ بدأ مع من يتوسم فيهم الاستجابة سواء كانوا من الأقربين أو من الأصحاب.

فمن طلابك؟…...................................

**كيف تم ترتيب خطوات إخراج الناس من الظلمات إلى النور؟**

الحقيقة أن هذا الترتيب هو عِلم كبير جدًا، علم شرعي كبير جدًا، وله مُحدِّداتٌ في منتهى الأهمية . وسأذكر لكم بعض هذه المُحدِّدات..

الأوامر التي نزلت في القرآن والسنّة نزلت للانقياد وللتنفيذ، هذا يعني أن المسلم عندما يأتيه الأمر فعليه أن ينفِّذ الأمر، وبالتالي خطوات نزول الآيات هي نفسها خطوات ترتيب أداء الصحابة العملي لها، ماذا كان يفعل الصحابة؟

ظل الصحابة خمسة عشر عامًا لم تُفرض عليهم الزكاة، لم يُفرض عليهم الصيام، لم يُفرض عليهم الحج، لم يُفرض عليهم الجهاد..خمسة عشر عامًا! إنما فُرض عليهم في البداية فرائض أخرى، الصلاة فُرِضت مبكرًا، قيام الليل أُوجب عليهم من السنة الأولى كما تعرفون.

إذن، خطوات نزول آيات القرآن هي نفس خطوات الأداء العملي للصحابة رضي الله عنهم، وبعد ثلاثة وعشرون عاما من بعثة النبي ﷺ اكتمل نزول القرآن الكريم، حيث أن ترتيب المصحف هو ترتيب توقيفي مُنزَّل من الله تعالى .

إذن عندما تنوي البحث فيما ينقصك في تأسيس عقيدتك وفكرك عن الإسلام أو كنت شخص اهتديت حديثا لطريق الإسلام وتريد أن تعرف كيف بدأت بعثة النبي ﷺ، وكيف نزلت الأوامر إلى الصحابة رضي الله عنهم، وكيف كانت استجابتهم لها خطوة بخطوة؟.. تنظر في ترتيب النزول لتكُوِّن القاعدة الراسخة التي تنطلق منها إلى التطبيق، وعندما تجد القاعدة الأساسية مكتملة وتنوي أن تُطَبِّق.. تنظر في ترتيب المصحف كما هو بين أيدينا الآن، فأنت الآن مُطالَبٌ بأن تؤسس و تُطبِّق في نفس الوقت، ماذا تعني 'تؤسس'؟ تعني أن تضع الأساس الذي ينبني عليه التطبيق.

فلا يمكن لأحد أن يقول أمهلني خمسة عشر عامًا لأُصَلي قيام الليل وبعد ذلك طالِبْني أن أصوم! هذا غير ممكن فقد نزل القرآن واكتمل

فإذا كنتُ أنوي أن أسير في تأسيس نفسي على ترتيب المصحف، ستكون النتيجة أني سأؤخر ما قَدَّمته سنّة النبي ﷺ وهديه، وإذا كنت أنوي أن أسير في التطبيق حسب ترتيب نزول الأوامر الشرعية إلى النبي ﷺ، ربما أقع في الحرام بعدم تطبيق الشعائر والأوامر والنواهي، مثلًا الخمر.. حُرِّمت بعد وقت متأخرٍ جدًا، فهل أدع الناس يشربون الخمر عشر أو خمسة عشر عامًا، أو أدع الناس يتعاملون بالربا لأنه حُرِّم مؤخرًا!!.

ولسنا ننصر ترتيبًا على ترتيب، ولكن أنت تنظر في نفسك وتبحث أين الخلل لتسُده وتسأل نفسك، هل أنت ممن يحتاج أن يؤسس لعقيدته وتربية نفسه، تأسيا بجيل الصحابة رضوان الله عليهم؟.. أم أنت ممن اكتمل عنده التأسيس ولكن يبحث ما هو الواجب عليه بصفة عامة ليكمل ما ينقصه من التطبيق؟..

على سبيل المثال -وإن كان هذا نوع من الاستباق لكنه مهم- تجد مثلًا أنه في الصلاة، الله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: 9]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]

فأنا حتى أجدَ إنسانًا يستطيع الحفاظ على الصلاة... يجب أن أؤسس المحافظة على الصلاة على خشوع القلب، وخشوع القلب من أين يأتي؟… يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ (٤٥) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: 45، 46] أرأيت كيف جاء الترتيب؟

الكلام عن لقاء الآخرة أدى إلى تهذيب النفس وخشوعها، والخشوع أدى إلى الحفاظ على الصلوات، هذه آية واحدة، لذلك علم التفسير هو علم الوقوف على الآيات وليس مجرد تفسير معاني وقصص وإنما فيه تربويات لإنهاض الأمة و لإنشائها... فبالتالي أصبح هذا الترتيب ترتيبًا مقصودًا جدًا.

أيضًا ستجد أن هناك اختلافًا بالفعل بين ترتيب النزول وترتيب الآيات الحالي، فمثلًا إذا أتيت لتنظر في القرآن الكريم، ستجد أن آيات الحج: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [البقرة: 197]

أو: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة: 196] وردت في أول سورة في القرآن؛ سورة البقرة، مع أنها لم تُفرَض إلا في نهايات نزول القرآن، بينما: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: 2] نزلت في الجزء التاسع والعشرين مع أنها فُرِضت في السنة الأولى.

لذلك كان دائمًا شأن المسلمين -الذين يُسْلمون من الصحابة- أن من يُسلم متأخرًا منهم وقد مضى على بعثة الرسول ﷺ سنوات فاته فيها الكثير من الأوامر والنواهي التي نزل بها الوحي يسير مع ركب الإسلام، وفي نفس الوقت يستدرك ما فاته في السنوات الماضية .

لنفرض أن أحد الصحابة كان قد أسلم بعد واحد وعشرين عامًا من عمر الدعوة، وبقي له عامان فقط في حياة الرسول ﷺ، فماذا كان يفعل؟ كان يقوم بأمرين:

أولًا: يُطبِّق كل شيءٍ أُمر به المسلمون الأوائل، هو أسلم بعد واحدٍ وعشرين عامًا، لكن عليه كل الأوامر السابقة.

ثانيًا: يسْتَدْركُ لنفسه ما فاته في الواحد والعشرين عامًا السابقة، فيجالس السابقين إلى الإسلام ليتعلم منهم.

لذلك نحن نتناول في خطوات إخراج الناس من الظلمات إلى النور.. الإسلام كما أُنزل بتطبيقه الذي يعرفه كل المسلمين ونشؤوا عليه، أن عليهم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأنهم يجب عليهم ألّا يقعوا في الربا، ولا في الخمر، ولا في الزنا... الإسلام بكامله.

ولكن المراد إيصاله للمسلم أنه لن يستطيع أن يقوم بواجب الإسلام عليه إلا إذا استدرك ما فاته بأن يؤسس نفسه على مُقتضى الشرع، وأن يهتم بلب العبادات وأثرها القلبي بنفس قدر اهتمامه بتطبيق صورة العبادة الظاهرة.

وكيف أُؤسس نفسي؟.. بمعرفة ما هو هدي النبي ﷺ وطريق دعوته من البداية خطوة بخطوة .

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ [القصص: 5، 6] ما أجمل هذا هذا التعبير القرآني!

يريد الله تعالى أن يخرج المؤمنين من حالة الضعف والاستضعاف إلى الإمامة ويحولهم إلى أئمة يقودون البشرية إلى توحيد خالقها، ولكن متى وكيف يصلون إلى الإمامة؟!

جاءت الإجابة في القرآن.. قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 24]

بعض الأمثلة للمحدِّدات التي تم ترتيب خطوات إخراج النفوس والمجتمعات من الظلمات إلى النور بناءً عليها بناءً عليها:

قد تتسائل، وتقول في نفسك من أين جاءت هذه الخطوات؟!

لذلك سنقف على بعض المُحدِّدات لنفهم و نستيقن، فتجد نصوص آيات وأحاديث يُفهم منها ضرورة وجود ترتيب للبناء:

**المحدد الأول:**

أحاديث تقول أنه لن يحدث هذا إلا إذا حدث ذاك.. مثلا قال رسول الله ﷺ: ((لا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حتّى تَحابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ على شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ))

لو افترضنا أن رجلًا يريد أن يدخل الجنة، وقال: دعني من البشر، أنا لا أحبهم، وأحب أن أعتزلهم ولا أختلط بهم، فماذا يكون قد فعل هذا الرجل؟.. يكون قد قفز خطوة جعلها الحديث شرطًا للإيمان، فإذا عملت بالخطوات ستجد قول الرسول ﷺ: ((لَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَنْ تُؤمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا)) فعندما يعلم هذا يقول.. إذن أريد مصاحبة الصالحين، وأتعلم معهم الحب في الله، لأنه قد تبين أنه خطوة مهمة للإيمان.

وأيضًا كما ذكرنا سابقًا في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ كبيرة إلا على الخاشعين؟! إذن الصلاة تحتاج خشوعًا، والخشوع يحتاج اليقين بلقاء الله في الآخرة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾، فيتعلم عن الآخرة، فيخشع، فيُصلّي.

وقد يقول أحدهم لا أستطيع الحفاظ على الصلاة مع أنني والله أحاول أن أصلّي، وأتوضأ وأضبط المنبه وأوصي أصحابي بتذكيري وإيقاظي لصلاة الفجر -وهي شكوى معروفة وسؤال دارج وآخر يقول كلما صليّت.. أتوقف، ماذا أفعل؟ ففي مثل هذا الحال رغم المحاولة والمجاهدة للحفاظ على الصلاة، لن يصل هذا الشخص للخشوع لأنه يسير على طريقة تعاكس الترتيب الصحيح، فلا بد أن يَتعلم الإنسان كيف يؤسس لأوامر الدين.

مثال آخر: في مسألة النصر، عندما تنظر في القرآن و في السيرة النبوية ستجد أن الله نصر المؤمنين على الكافرين وتم فتح مكة وأصبحت الجزيرة العربية في أفضل حال وأسلمت كلّها وقال النبيﷺ: ((لا يجتمع دِينان في جزيرة العرب))، وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ [المائدة: 3]

حسنًا، نحن نريد أن ننتصر، لكن هل نحارب ونجاهد لننتصر؟ فنجد مثلًا آية تقول أن من ضمن الأشياء التي لن تنتصروا إلا إذا حدثت.. هي رؤيةُ المِحَن، يقول تعالى: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: 214]

إذن أصبح نصر الله قريبًا؛ لأنكم قد رأيتم ما يجب أن يسبق النصر.

فإذن هذا أول مُحدِّد، أن هناك نصوصًا كثيرة سواء من الكتاب أو السنّة قالت إنّ هذا الأمر لن يتحقق إلا إذا تحقق أمر آخر، فيستنبط العالم من هذه النصوص ترتيبًا لخطوات الدين.

**المُحدِّد الثاني:**

هذا المُحدِّد لابد أن نقف عنده ونتفكر فيه، وهوأن هناك آيات وأحاديث تفاجئنا بأن هناك بعض الأعمال الصالحة قد تسبب الفساد لبعض الناس..

ما هذا؟! كيف أعمل عملًا صالحًا ثم يُفسِدني؟!

ما نعرفه جميعًا أن العمل الصالح يساعد الإنسان على الصلاح.. نعم ولكن تجد مثلًا قول الله تعالى: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ [الجاثية: 17]

العلم شيء محمود، والله تعالى يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: 114]

فكيف حدث الاختلاف عندما جاء العِلم؟! قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: 105]

وأيضًا نجد قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ﴾ [التوبة: 124]، فنجد أن هناك أشخاص أنزل الله فيهم قرآنا يقول عنهم: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[التوبة: 125]، فتتعجب وتقول.. هل يزيد القرآن بعض الناس رجسًا ودنسًا على دنَسهم الذي كانوا عليه؟! ما معنى هذا؟

إذن معنى هذا أن هناك شروط وصفات يجب أن تتوفر فيمن يستقبَل هذه الآيات، ويجب توفر أساس تُستقبَل عليه البيّنات، ويُستقبَل عليه العِلم، والرسول ﷺ أخر بيان بعض الأمور لأن عقول الناس لن تطيقها وحتى لايكذبوا بها، لذلك لم يبينها إلا بعدما تحققت مواصفات الاستقبال لهذه الأمور .

وأيضا بني إسرائيل لمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به،هم يعرفون الحق ويعرفون النبيﷺ وهو مذكور عندهم في التوراة ، فلمّا جاءهم كفروا به، لماذا؟.. كانت نفوسهم متكبِّرة لاتمتلك الصفات التي تؤهلهم للإذعان للحق، ومن قبل عندما رأوا الآيات التي أُرسل بها موسى عليه السلام بأعينهم لم يؤمنوا بها وكذبوا بأنها تكون من عند الله

قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: 14]

موقنين بها ولكنهم جحدوها، كمن تكون الشمس مشرقة، فيقول ليست مشرقة! وتقول له انظر إلى الشمس هاهي!، فيقول: لا، لا أراها! حسنًا، ألا تشعر بالحر؟ فيقول: لا، الجو ليس حارًا، جحدوا بها! واستيقنتها أنفسهم، الله تبارك وتعالى سمّاه كِبرًا وعُلوًّا،لأنها رغبةً في العُلُوِّ في الأرض، تكبرًا وعلوًا على غيرهم، رغبة في ألّا يكونوا تابعين لغيرهم.. فكفروا وجحدوا وفجروا وغيَّروا وبدّلوا، وهذا محدد مهم جدًا.

**المُحدِّد الثالث:**

هناك بعض النصوص من القرآن والسنّة، آيات وأحاديث، تُفاجَأ بأنها تمنع الاشتغال ببعض العبادات، أو تقوم ببعض الحق، مع أنه يعرف أنه حق، تجد آية أو حديث يقول لك لا تفعل هذا، لماذا لا أفعله؟.. لأن فعله قبل أن تضع أساسه يكونُ فتنةً لك، مثال: تجد أن عبد الله بن عبد الله بن أُبي أتى رسول ﷺ وَسَلَّم فقال: "يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلًا فمُرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيّ يمشي في الناس فأقتلَه، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخلَ النارَ"؛ فقال رسول الله ﷺ: ((بَلْ نَرْفُقْ بِهِ وَنُحِسنْ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا))، وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويعنفونه ويتوعدونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنه: "كَيْفَ تَرَى يا عُمَرُ، أما واللهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لأرْعَدَتْ لَهُ آنُفٌ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ"؛ فقال عمر: "قد والله علمت لأمرُ رسول الله ﷺ وَسَلَّم أعظم بركة من أمري"، فالنبي ﷺ أخر فعل بعض الأمور لأن هناك خطوة قبلها إن فعلها حدث ما بعدها بشكل تلقائي.

ويقول ﷺ لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: ((لولا أنَّ قومَكِ حديثُوا عهدٍ بجاهلِيَّةٍ، لهدَمْتُ الكعبةَ، ولجعلْتُ لها بابَيْنِ)).

لا يناسبهم هذا القدر من الحق، رغم أنه حق لكنهم أسلموا حديثا، وقد يتعرضون لفتنة لأنهم مازالوا حديثوا عهد بالجاهلية..

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: "ما أنت بمحَدِّثٍ قَومًا حديثًا لا تبلُغُه عُقولُهم إلَّا كان لبَعضِهم فِتنةً".

ويخبرنا الله ورسوله أن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام ورغم هذا قال الله للمؤمنين في مكة (كفّوا أيديكم) ولا تُجاهِدوا، وظلوا خمسة عشر عامًا ممنوع فيها الجهاد، ويقول النبي لمن يريد قتال أعداء الله .. "لم أُؤمر به بعد" ورغم أنه حق ولكن تم تأخيره.

ولما ذهب النبي ﷺ إلى العمرة منعه المشركون، فعقد صلح الحديبية ثم رجع إلى المدينة على أن يعود في السنة التالية ليعتمرﷺ عمرته الوحيدة (عمرة القضاء)، فإذا به ﷺ يعتمر والكعبة حولها الأصنام، ويطوف والأصنام فوق الكعبة وحولها، وبداخلها، ويسعى بين الصفا والمروة والصفا وعليهما الأصنام، وأصبح كأنه يسعى بين الأصنام، فلماذا لم يكسر الأصنام وقتها؟!

إذن وجدنا في الآيات والأحاديث نصوصًا أن هناك حق والنبي لم يفعله. لماذا؟ لأن الفكرة في.. متى يكون الوقت المناسب ليفعله؟ وهذا يعني أن هناك حق وهناك سياسة وطريقة وتوقيت لتنفيذ هذا الحق،وهناك ظروف يجب مراعاتها لإنفاذ هذا الحق. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لمَاذا لا أقول إن هبل ومناة والعزى باطل؟ لاتقول.. لأنهم سيتجرؤون على سب الله تعالى ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ ﴾ [الأنعام: 108]

**المحدد الرابع:**

هناك بعض الأحكام الشرعية تغيرت من الحِل إلى الحرمة أو العكس أو التخفيف فيه

هناك أمور كانت حلالًا صارت حرامًا.. (كالتبني )، وأشياء كان منهي عنها صارت واجبة ومأمور بها (كالجهاد )، ما الذي حدث... لماذا ذلك؟ هذا كان على حسب نسبة النضج المتعلق بالإسلام عند الصحابة رضي الله عنهم .

مثلًا: عند قتال الكفار كان الأمر قول الله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ [الأنفال: 65] يعني أن الواحد مقابلٌ لعشرة، فلو واجه الصحابة جيش، فعلى الواحد منهم أن يقابل عشرة و لا يصح أن يرجع..، وعليه أن يحارب، مع أنهم عشرة ضده!، بعد ذلك قال تعالى: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾ إلى أن أصبح الأمر في قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾[الأنفال: 66] صار الواحد يقابل اثنين، أين الواحد الذي كان يقابل عشرة؟.. حدث تخفيف، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾ [البقرة: 178]

مثال آخر: الله تعالى جعل قيام الليل فريضة في السنة الأولى من البعثة حتى تورّمت سيقان وأقدام الصحابة، وأصبحوا غير قادرين على الوقوف، لأنهم مُكلفون كل ليلة بدون انقطاع أن يُصلّوا ثلثي الليل أو نصفه، في هذه الحدود، بدون انقطاع، فاستمروا سنة لا ينامون ولا ليلة واحدة، ليس لهم يوم راحة، ولا يوجد أحدٌ تَعِب من العمل اليوم أو لديه عملٌ صباح الغد فيترك القيام! .. فلمّا التزموا أمر الله.. نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ [المزمل: 20] وضع الله عنهم هذه الفرضية.

إذن هناك أُمور كانت واجبة ثم وضعها الله عنهم، هناك أمور كانت جائزة ثم منعها الله عنهم، هناك أمور كانت محظورة ثم أباحها، وأصبح هذا إحدى المحددات .

**المحدد الخامس:**

دعوة نبي الله إبراهيم -عليه السلام -حيث سأل الله تعالى أن يرسل في ذريته رسولًا يقوم بثلاثة أمور: يتلو ويُعَلِّم ويُزَكِّي ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ﴾ [البقرة: 129]، فلمّا استجاب الله دعائه كانت التزكية قبل التعليم؛ فصارت: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [آل عمران: 164] قد استجاب الله دعوة إبراهيم -عليه السلام - لكن تَغيُّر الترتيب مقصود.

**المحدد السادس:**

النهي عن مخالفة الترتيب وصل لدرجة أن هناك آيات وأحاديث، توبّخ، وتنكل بمن خالف الترتيب وتندد به بشدة، مع أنه لم يقم بشيء خاطئ أو ترك أمر من الأوامر، إنما فقط خالف الترتيب.

**مثال:** في غزوة بدر، انتصر الصحابة انتصارًا ساحقًا بفضل الله تعالى، فأخذوا أسرى، فنزلت آية تنبههم أنهم خالفوا الترتيب وتصحح لهم المسار،قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الأنفال: 67] ومما ذكره المفسرون عند قوله تعالى: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [الأنفال: 68] فيقول النبي ﷺ عن ذلك: ((لو نزلَ من السَّماءِ عذابٌ ما نجا منهُ غيرُ عمرَ))!

ولسان حال الصحابة -رضي الله عنهم - مانجا منّا! هل اقترفنا خطأ؟ فنحن لم نعصِ! ولم تكن عندنا آية وخالفناها، ربما كان علينا أن نتوقع أن يكون الترتيب هكذا، لكن لم نتوقعه، ولم نقع في معصية، ومع ذلك يقول الرسول ﷺ: ((لو نزل عذاب ما نجا منه إلا أنت يا عمر)) إلى هذه الدرجة تصل أهمية الترتيب!

إذن هناك آيات وأحاديث تنصُّ على الترتيب لدرجة أن مخالفته تشعرك دائمًا أن هناك شيئًا ناقص... وكأن شيئًا ينبهنا لأن نتوقف لحظة لنفكر.. نحن نسير في الطريق الخطأ، لقد استعجلنا في شيء، لقد أتينا بشيء قبل شيء، وهذا لا يجوز.

وكم هو من الأهمية بمكان؛ أن نتفكر في قول الرسول ﷺ " لو نزل عذاب ما نجا منّه… "... الرسول المؤيد من ربه، سيد خلق الله المعصوم ﷺ، يقول يقول عن نفسه…" لو نزل عذابٌ ما نجا منّا من أحد إلّا أنت يا عُمر"، الآية لأنه -رضي الله عنه -كره أن يَسْبِق الأسر الإثخان في الأرض، وهو السيطرة الكاملة وسحق الكفار، الآية هنا تُهدد بعذاب عظيم لمجرد الاستعجال في الخطوات، فالإثْخان في اللقاء الأول مع العدو يسبق أخذ الأسرى، ولم يكن أخذ الأسرى في حد ذاته خاطئ بل سيفْعلونه لاحقا في وقت محدد .

إذن المُحدِّدات تُبيّن أننا لا بد أن ندرك، متى نؤخر ومتى نقدّم.

**المحدد السابع:**

القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة تدل على أن الرسول ﷺ قام بالتمهيد قبل أن يدعو إلى الله، وقد يقول قائل أن هذا التمهيد ليس في ترتيب الخطوات بل في طريقة الدعوة، فقبل أن أدعو أجعل نفس المدْعوِّ تستجيب... لا، وإنما هناك خطوة تسبق ممارسة الدعوة على أرض الواقع.

**مثال**: النبي الكريم ﷺ لمّا أَذِنَ للمسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة، اختار الحبشة **لأن فيها ملكًا لا يُظلَم عنده أحد**، وعندما كلم الناس على جبل الصفا، قبل أن يقول لهم أيها الناس إني رسول الله إليكم، وقبل أن يقول لهم أيها الناس قولوا لا إله إلا الله، وقبل أن يقول والله لتموتُنّ كما تنامون ولتُبْعَثُنَّ كما تستيقظون... قبل أن يقول لهم كل هذا، سألهم كيف يرونه؟..أترون أني أكذب عليكم؟ ((أرَأَيْتَكُمْ لو أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا بالوَادِي تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ علَيْكُم؛ أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلَّا صِدْقًا، قالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)). [صحيح البخاري]

ولإيضاح الفكرة..لنفرض أن رجلًا يُعرف عنه الكذب دائما وقف على جبل، وقال للناس في الأسفل أرأيتم لو أخبرتكم أن هناك رجلٌ يوزع العطايا خلف هذا الجبل.. أكنتم مُصَدِّقيَّ؟

فسيقول الناس له أنت دائمُ الكذب.. فهل تصلح الدعوة هكذا؟ بالطبع لا تصلح، إذن علِمنا من ذلك أن صنع الداعية الصادق خطوة تسبق البدء بالدعوة وخَلْقَ كيان الداعية في مجتمعه ليكون مُقدَّرًا هو أمر قد سبق بدء النبي ﷺ في الدعوة.

ومن الأمثلة الدالة على أهمية صنع الداعية، ارسال النبي ﷺ جعفر إلى النجاشي في الحبشة، وإرسال مصعب لأهل المدينة..، وكان من الممكن أن تُرفض الدعوة في هذه الحبشة والمدينة، لكن الصحابة كانوا فقهاء، يفهمون ما يقولون ومتى يقولونه، لذلك نجحت دعوتهم. والرسول ﷺ لم يُرسِل مصعبًا إلى المدينة إلا وهو يعلم أنه فقيه، ولم يرسِل مُعاذًا (معاذ بن جبل) إلى اليمن إلا وهو يعلم أنه فقيه، ولم يُرسِل جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة إلا وهو يعلم أنه فقيه.

فلو بيدك أمر دعوة تُنشر في مكان ما، فمن سترسل؟ هل ترسِل أحد أقاربك؟ هل ترسِل صديقًا كي، أو تلميذًا مجتهدًا، أو طالبَ علمٍ متفوق؟ بالطبع لا.. وبالتأكيد سترسل شخصًا يفهم معنى دين الله، ومعنى الدعوة، وكيف يتعامل مع المدعوين ومايناسبهم من أساليب الدعوة وما تطيقه عقولهم، كما فعل النبي ﷺ حين طلب قوم أن يرسل لهم من يُعلِّم أهل قبيلتهم الدين، أرسل معهم النبي ﷺ سبعين فقيهًا من الصحابة يقال لهم القُرَّاء، لكي يُعلِّمون هذه القبيلة..

- ولذلك عندما قال النبي ﷺ للصحابة اذهبوا إلى الحبشة فإن فيها رجلًا لا يُظلم عنده أحدٌ، وكأنه ﷺ يعمل وفق خريطة محددة وكأنهم مازالوا نبات ضعيف يحتاجون بيتا بلاستيكيًا مؤقتًا تكون الظروف البيئية القاسية فيه أقل والكفر فيها ليس طاغيا ثم يعودون بعد فترة النمو الآمن أشجارا قوية يحاربون الظروف شديدة الصعوبة مع رؤوس الكفر في قريش .

- وفي صلح الحديبية لمّا أرادت قريش أن تصد النبي عن الكعبة بعثت قريش الحُلَيْس بن علقمة، سيد الأحابيش (فلما أشرف على النبي ﷺ قال لأصحابه هذا فُلانٌ، وهو مِن قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فابْعَثُوها له فَبُعِثَتْ له، واسْتَقْبَلَهُ النّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمّا رَأى ذلكَ قالَ: سُبْحانَ اللَّهِ! ما يَنْبَغِي لِهَؤُلاءِ أنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ)

وهذا يدل على حكمته ﷺ، فقد أدى هذا التصرف منه إلى عودة الرجل قبل أن يصل إلى المسلمين، وإعلانه تأييد النبي ﷺ، بل ونصرته إذا منعته قريش وصدته عن الحرم، فقال -وقد تبين له ظلم قريش وعدوانها-مغضبًا: (يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيُصد عن بيت الله من جاء معظمًا له، والذي نفس الحُليس بيده، لتخلنَّ بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد).

وهكذا تبددت أكثر قوة قريش العسكرية، واستطاع الرسول أن يُنهي مفاوضتَه دون حوار لأنه علم طِباعه سلفًا، فتعلمنا من ذلك أن معرفة المسلم للخريطة الاجتماعية داخل المجتمع وأن يكون عالِمًا بزمانه، هذا مما ساهم في إنجاح الدعوة.

**المحدد الثامن:**

يوجد آيات وأحاديث تَنهى المسلمين نهيًا صريحًا عن إدخال موضوعات من عند أنفسهم،خلاف ما يطرحه عليهم رسول الله ﷺ،

ولما أكثر الصحابة السؤال عن كل شئ قال رسول الله ﷺ لهم: ((ذروني ما ترَكتُكم فإنَّما هلَك الَّذينَ من قبلِكم بِكثرةِ مسائلِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، ما نَهيتُكم عنهُ فاجتَنبوهُ وما أمرتُكم بِه فافعلوا منهُ ما استطعتُم))

وقد يقول قائل أنا في الحقيقة أريد أن أعرف أمورًا كثيرة ولو كنت في زمن النبي ﷺ، فسأذهب كل يوم ومعي كثير من الأسئلة، و أقول له يا رسول الله أريد أن أسألك عن كذا،، وأيضًا كذا، و كذا... هذا لا يصح.

الرسول ﷺ كان أحيانًا إذا سُئل عن شيء يتغير وجهه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ [المائدة: 101] فالنَّهي ليس عن السؤال، وإنما عن توقيت السؤال ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ -إذا ظهرت لكم- ﴿تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ لم ينهى الله عن السؤال، لكن اسألوا حين يأتي وقته، وحينها لن تسوءكم الإجابة لأنها جاءت في السياق، ويقول تعالى أيضًا: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء: 36] والآيات والأحاديث تطرح كيف يتناول الإنسان الموضوعات، وما وقت تناولها.

**مثال 1**: قد يأتيَ تلميذ في الصف الثالث الابتدائي، ويترك درسًا أو درسين أو ثلاثة في مسألة سيدرُسها بتفصيل أكبر في المرحلة الثانوية، فهنا نقول له هذا موضوع عليك أن تدرس لأجله خمس أو ست موضوعات لكي تفهمه، و ستدرس في السنة الثالثة كذا، والرابعة كذا، والخامسة كذا، والسادسة كذا، إلى أن تصل لإجابة تساؤلاتك حول هذا الموضوع..

**مثال 2:** هناك طالبًا التحق بكلية الحقوق ليعرف القانون الدولي، فكان في بداية التحاقه يريد أن يعرف لماذا إسرائيل وأمريكا تتجبّران على الناس، فدخل، وظل يدرس، ولم يجد القانون الدولي، لا يوجد إلا فلان قتل فلانًا، وفلان سرق فلانًا، فلانة تريد حضانة الأطفال، وفلان طلّق فلانة،فكان يقول، فقال كنت أظن أنكم ستدرِّسوننا القانون الدولي في السنوات كلها! فقالوا له، لا، إنه يُدرَّس كمَادّة واحدة في السنة الأولى لا أكثر.

**مثال 3**: عمدة قال لابنه: التحق بكلية الحقوق لتنظر في أمر أرضنا الزراعية التي ستضيع، دخل الولد المسكين إلى السنة الأولى،فلم يجد شيئًا، الثانية، لا شيء، إلى أن وجد القانون الزراعي، المتعلق بالإصلاح الزراعي لا يُدَرَّس إلا في السنة الرابعة و كمادّة فرعية. فقال لو كنت أدري لأحضرت هذا الكتاب و درسته وانتهينا، لا حاجة لأربع سنوات أدرس فيها كل هذا، قانون دولي و قانون خاص وقانون عام وقانون جنائي وقانون مَدني وغيرها..

**إذن الفكرة أن التلميذ يضع نفسه تحت تصرف المنهج، وليس هو من يضع المنهج وأولوياته .**

**المحدد التاسع:**

هناك آيات وأحاديث، تقوم بترتيب أماكن الأشخاص تقديمًا وتأخيرًا..

هناك أناس ظلوا يسمعون عن النبي ﷺ عشرين سنة، يسمعون أن هناك بعيدًا في مكة شخص يقول أنه نبي واسمه محمد بن عبد الله، ولا يعرفونه، فلما دخلوا الإسلام، أتوا ليروا الرسول ﷺ،كما قال عبد الله بن سلام الذي أسلم ولم يرَ النبي إلا بعد ثلاثة عشر عامًا من البعثة.

يقول عبد الله بن سلام: "فلما جاء النبي ﷺ جعل الناس يذهبون إليه لينظروا إليه" يريدون أن يروا وجه النبي الذي أسلموا معه وآمنوا به منذ ثلاثة عشر سنة وهم لا يعرفونه، يقول "فلما وقع بصري على وجهه" -أول لحظة- "فلما رأيت وجهه، عرفت أنه ليس بوجه كذّاب"...

وجه وضيء، ليس بوجه كذّاب، ولذلك الصحابة الذين رأوا النبي ﷺ كانت لهم مكانة مختلفة بين الناس، رؤية النبي وحدها حالة وجدانية آخذة. التابعون، أعظم التابعين لا يساوي صحابيًا واحدًا اكتحلت عيناه برؤية النبي عليه الصلاة والسلام .

فلما أسلموا، ذهبوا ليروا الرسول ﷺ، فمثلًا أذان الظهر يكون في الساعة الثانية عشر، فيذهبون منذ الساعة السادسة صباحًا لحجز أماكنهم في الصف الأول، والثاني والثالث والرابع والخامس والعاشر ليروا النبي ﷺ.

فيؤذَّن لصلاة الظهر ويأتي أبو بكر وعمر فلا يجدان مكانًا، فيقفون في الصفوف المتأخرة، هذه مشكلة كبيرة، لِمَ؟ لأن الذين استَقَوْا-أي تشَرَّبوا-السُّنّة لمدة عشرين سنة ستضيع منهم آخر ثلاث سنوات، فلن يكون المنهج لديهم مكتملًا، والذين أسلموا حديثًا سيأخذون السنوات الثلاث الأخيرة فقط، وليس عندهم العشرون الأولى. فيموت رسول الله وليس في الأمّة من استقى أو من تشرَّب المنهج مكتملًا. فجاء الحديث حاسمًا يقول: ((لِيَلِيَنِي مِنْكُمُ المُهَاجِرُونَ وَالأنْصَار))، يعني ليس لغيرهم الأسبقية عليهم لأنه أسرع منهم، فأصبح المهاجرون والأنصار في الصفوف الأولى .

بل جاءت آيات تمنع بعض هؤلاء الصحابة من أن يتولوا أيّ رتبة في الأمة الإسلامية.

مثلًا في فتح مكة حين قال النبي: ((اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء)) هؤلاء الطلقاء لم يكن لهم رتبة في الأمة الإسلامية، وهذا يعني أنه لا يمكن أن يكون أميرًا للمؤمنين، ولذلك مثلًا معاوية بن أبي سفيان يمكن أن يكون أميرًا للمؤمنين إنما أبو سفيان -أبيه-لا يكون أميرًا للمؤمنين، لأنه أسلم بعد الفتح فالرتبة تكون للذين أسلموا قبل الفتح.

لا يستوي من أسلم قبل الفتح مع من أسلم بعد الفتح، ولا يستوي من قاتل قبل الفتح والإسلام لم يظهر ثمرته بعد.. فكان من المحتَمِل أن يُقتلع أو يَنتصر -لا أحد يعلم وقتها-ولكنه صمد وأعطى نفسه لله , فلا يتساوى مع من قاتل بعد الفتح.

ولهذا فإن زمن غربة الإسلام هو فرصة لن تعوض،و الذي يمكن أن يُدرك فيه الإنسان أن يكون من الصادقين المرابطين قبل ظهور الإسلام وعزه، لأنه لن يستوي مع من لَحِق بالإسلام عندما استقر الإسلام سياسيا واجتماعيا ودخل الناس في دين الله أفواجا، لا يستويان.

ومن المواقف العصيبة التي مرت على المسلمين والرسول ﷺ في مرض الموت، لم يستطع -صلى الله عليه وسلم -أن يخرج ليصلي بالناس، كان غيرَ قادرٍ على الوقوف على قدميه، فقال: ((مُروا أبا بكرٍ فليُصَلِّ بالناس)). قالت له أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها: "أبا بكرٍ إذا قام في مَقامِك لم يُسمِع الناس من البُكاء، فمُرْ عُمر فلْيُصَلِّ"، فقال: ((إنكنَّ صَواحِب يوسف، مُروا أبا بكرٍ فلْيُصَلِّ بالناس)) حسنًا، فلْيَكُن.. ذهب الصحابة ليبلغوا أبي بكر -رضي الله عنه-فوجدوا أن أبا بكر يسكن في مكان بعيد، في حيٍّ خارج المدينة اسمه السُّنْح -أبو بكر لم يكن يسكن بجوار الرسول ﷺ، كان يسكن في مدينة من المدن الجديدة- فلم يتمكنوا من جعله يأتي ليصلي المغرب بالناس، فلما أُذِّن للمغرب، ريثما يأتي أبو بكر ليصلي العشاء بالناس، جعلوا عمر بن الخطاب يُصلي، فإذا بالرسول عليه الصلاة والسلام يقول كلمة تخلع القلب، سمع صوت عمر يصلي بالناس، بينما أبو بكر لا يزال في الأمة الإسلامية! فقال: ((أين أبو بَكرٍ؟ يَأْبى اللهُ عزَّ وجلَّ والمُسلِمونَ ذلك))

على قدر مكانة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه -في الأمة إلا أن رسول الله ﷺ أبى إلا أن يُقدم أبا بكر لتكون إشارة منه لأن يخلفه في الأمة من بعده.

**المحدد العاشر:**

هناك آيات وأحاديث تخبرك أنه سيأتي وقت لن تُحدِث الأعمال الصالحة أثرًا أو تغييرا في فاعلها..

مثال: قال رسول الله ﷺ: ((والَّذي نَفسي بيدِهِ لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عنِ المنكرِ أو ليوشِكَنَّ اللَّهُ أن يبعثَ عليكُم عقابًا منهُ **ثُمَّ** **تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**)) ..وحديث آخر يُسأل فيه رسول الله ﷺ: ((**أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم؛** إذا كثُر الخبث)) وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: 25]

فالمسألة إذن لست بأن أكون صالحًا و فقط، بل هنالك أمور أخرى لا بد أن أقوم بها وأستجيب لأمر الله ورسوله فيها .

إذن كل هذا يلفت النظر إلى أن هذه المُحددات تجعلك تقول، مهلًا، أنا لا بد أن أنتبه، ما هو المطلوب مني تحديدًا؟ لماذا يجوز كذا ولا يجوز كذا؟ لماذا لا أقَدّم كذا على كذا؟ لماذا لا أستعجل في كذا؟

**المحدد الحادي عشر:**

هناك بعض المسائل أعطاها الرسول ﷺ وقتًا خاصًا بها، فلكل مرحلة خصائصها وأحكامها

**مثال**: حديث حذيفة: " كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ قُلتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ قُلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ قُلتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ علَى أبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قالَ: هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا قُلتُ: فَما تَأْمُرُنِي إنْ أدْرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وإمَامَهُمْ قُلتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ ولَا إمَامٌ؟ قالَ: **فَاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا**، ولو أنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ علَى ذلكَ...." فيُسأل النبي لو حدثت الحالة كذا… ماذا نفعل؟ فيقول: اعتزل الفرق كلها..

وفي حديث آخر: "سُئل ﷺ عن قولِهِ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [المائدة: 105] فقال: ((بل ائتمِروا بالمعروفِ وتناهَوا عن المنكَرِ حتّى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا، وهوًى متَّبعًا ودُنيا مؤثَرةً،وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه، فعليكَ بخاصَّةِ نفسِكَ، ودعِ عنك أمرَ العوامَّ....)

فالفكرة أن الأحاديث تقول لك إن كل مرحلة زمنية لها ظروفها و لها أحكام تناسبها . لدرجة أن هناك بعض هذه المراحل الزمنية يقول فيها الإسلام: ((يُوشِكُ أنْ يَكونَ خَيْرَ مالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبالِ ومَواقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ)) خير الناس من يذكر الله فقط؟! إذن أين الجهاد؟! أين الدعوة؟! فالمسألة ليست أن خير الناس هو نفسه لكل العصور، فلابد أن يفهم الإنسان كيف يُعايش أحداث الحياة، وأين موقع هذه الأحداث من الشريعة.

**المحدد الثاني عشر:**

إذا لم يصلك الحق وطريقة اتِّباعك للنبي ﷺ فيه.. لن تقوم عليك الحُجّة يوم القيامة، ولكن الحق بلغ مشارق الأرض ومغاربها، فيقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: 55] أي أسرع وافعل ما أُمرت به حتى لا يحدث.. ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ (٥٦) أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزمر:56، 57].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ (١٥٦) أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ١٥٧﴾ [الأنعام:155- 157]

إذن اتِّباع النبي ﷺ واقتفاء أثره خطوة بخطوة هو أمان من الزيغ والضلال .

**المحدد الثالث عشر:**

الله سمّى طريق الشيطان خطوات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [البقرة: 168] وسمّى طريق الكافرين سُبُلًا، وسمّى طريقهُ سبيلًا، وهو طريق واحد.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153]

رُويَ عن النبي ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِكُمْ مَعَالِمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ)). ولنبين الفرق بين النهاية وبين المعالِم، فالنهاية هي آخر الطريق، والمعالم هي العلامات أو الإشارات التي تكون أثناء سيرك في الطريق. فلا تقل.. أنا أسير نحو الهدف وهذا يكفي، لا.. أنت أيضًا متعبّد بأن تسير في الطريق الذي له معالم السير الذي رسمها لك رسول الله ﷺ .

ولذلك جاء الحديث يقول للمسلمين: ((أيها الناس سَتَرَوْن مِن بعدِي اختلافًا شديدًا؛ فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين -السنّة تعني الطريق - عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ))

**المحدد الرابع عشر:**

هناك آيات وأحاديث تنهى عن القفز من خطوة إلى خطوة وتنهى عن الاستعجال، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [مريم: 84]، ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: 35] ويقول تعالى أيضًا: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 143]، ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ -يعني إذا استثقلت نفسك إعراضهم- فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35] افعل ذلك،و لكنك لا تستطيع ذلك.

ليس هناك استعجال، لكن هناك: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: 127] هناك انتظر، ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: 109]، وحتى لو طلب الرسول ﷺ: ﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: 93]، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: 95] ولكن مهمتك لم تنته: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ [المؤمنون: 96] يقول أيضًا له: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾ [الأنعام: 35]

فذرهُم: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ ويقول: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: 118، 119]

هذه بعض المحددات التي توضح كيف تم استنباط ترتيب هذه الخطوات، وهو علم وفقه عليه أدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهو علم يوجد في الكتب؛ لكنه مفرقًا والمشتغلين به أقل من القليل والموجود منه ليس به تعمق بالقدر الكافي وهو باب كبير يحتاج لبحث طويل ولكن في موضِعنا هذا "حَسْبُك من القلادة ما أحاط بالعُنُق"، و لطلاب العلم والباحثين مع هذا الباب شأن آخر.

وخلاصة الأمر أن حاجة المسلمين في زمننا المعاصر اقتضت إيجاد هذا الترتيب بهذا الوضوح وهذه السلاسة في الطرح في ظل الابتعاد الكبير عن أصول و مركزيات الدين وعدم التمييز بين معنى الشرعة ومعنى المنهاج، فالمِنهاج هو خطوات محددة لتطبيق الشريعة، والشريعة هي كل ما يخص التشريع والتشريعات التفصيلية، وهذه الخطوات لا يمكن اختراعها، ويمكن فقط تتبعها وفهمها واستنباطها من السنة وقد علمنا من بعض المحددات التي تم عرضها ما يدل على وجوب التزام المِنهاج.

**عاطفة التجمع على دعوة النبي ﷺ:**

ذكرنا سابقًا أن من أكثر الطرق التي يمكن أن يستفيد بها المتلقي من الكتاب هو مدارسة ومناقشة أفكاره مع صحبة من المقربين والأصدقاء ممن يكون بينهم توافقا فكريا، وفي هذه التجمعات والجلسات..ليس هناك شعور يعلو عاطفة الأخوة بين المؤمنين، وهذا أمر أصيل في ديننا، ومن قبل تعلمنا كيف كانت عاطفة المسلمين لرسول الله ﷺ، فالحب في الله هو أوثق عرى الإيمان

عن البراء بن عازب عن الرسول ﷺ قال: ((إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ)) [حسنه الألباني في صحيح الترغيب].

قال النبي ﷺ: ((إنَّ للهِ جُلَسَاءَ يومَ القيامةِ عن يمينِ العرشِ، وكِلْتَا يدَي اللهِ يمينٌ، على منابرٍ مِن نورٍ، وجوهُهُم مِن نورٍ، لَيسوا بأنبياءَ ولا شُهداءَ ولا صدِّيقينَ قيلَ: يا رسولَ اللهِ ! مَن هُم؟ قال: هُم المُتحابُّونَ بجلالِ اللهِ تباركَ وتعالى)) [صحيح: أخرجه الطبراني].

ومن الطبيعي أن تكون عاطفة بهذا المدى بين أصحاب عقيدة واحدة وأصحاب رسالة واحدة و أصحاب هموم واحدة وأصحاب آمال واحدة وأصحاب خطة واحدة، مجموعات من المتحابين في الله يجتمعون عليه ويفترقون عليه.

حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:..... ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)).

هذه المجموعات ستكون هي كتائب الإيمان التي تحمل دعوة الحق و تسري بها كجريان الماء في النهر لايوقفه شيء وإن أقيمت أمامه السدود فسيسري في باطن الأرض وتتفجر به ينابيع المياة، وفي يوم ما قد تتشقق السدود وتنهار لتعود المياة هادرة في طريقها مرة أخرى..

دعوة الله هي دعوة الحق و نحن مستخدمون لتبليغ هذا الحق .

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: 3]

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: 21]

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 18]

فهي دعوة لابد أن تصل، ووسائل وأدوات وصولها للناس متعددة ومتنوعه، ومن أهمها المساجد، ولا يمكن أن نتتصور أن الدعوة عبر التلفاز أو الانترنت لمجرد أنها تبلغ آلاف أو ربما ملايين من الناس فإنها تكون أجدى من المساجد، فالمساجد قلاع الإسلام، وستظل كذلك بإذن الله.

لماذا؟ لأنك في المسجد تتفاعل مع المعلم أو العالم أو المحفظ.. ترى سمته وأخلاقه ويرى هو مدى استجابتك وفهمك وإقبالك ويلاحظ أخطائك فيوجهك، فيكون بمثابة المربي والموجه لطلابه، وهذا فيما يخص أهمية اجتماع المسلمين في المساجد.

وأما مايخص كيفية التلقي نجد أن العبرة ليس بمن يلقي الأحاديث فقط، وإنما العبرة بالمستقبِل أيضا..

لقد كان من يتكلم هو رسول الله ﷺ ومع ذلك قال له الله عز وجل: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: 198]

في الجاهلية سمع عمر بن الخطاب كثيرًا عن رسول الله ﷺ ولكنه كان صلبًا عنيدًا على الإسلام، فدعا رسول الله ﷺ: ((اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك)) وعندما أراد الله بعُمر خيرًا إذا بجهاز الاستقبال ينصلح وتبلغ الدعوة قلبا كان محجوبًا.

فكان كل فرد يستجيب لدعوة الرسول ﷺ ينضم إلى الفئة المؤمنة ويتفاعل معهم، فقال الله لنبيه ﷺ المربي للكتيبة المؤمنة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: 28]

دعوة الله لن تقف أبدًا مادامت هناك فئة مؤمنة في كل زمن، وسيُقيِّض الله لهذا الدين من يقوم به.

ولكن السؤال هل طريقة الدعوة التي نقوم بها الآن طريقة راشدة؟

هل نسير في دعوتنا تجاه هدف واضح ومحدد؟ أم أن دعوتنا مجرد فضفضة واستهلاك وقت؟

هل دعوتنا ترف ثقافي نتكلم فيه عن الفروع الفقهية ونطرحها للناس؟

هل هي دعوة تنتقل للغير أم دعوة تقتصر على المتجالسين؟

هل دعوتنا دعوة متدرجة أم محصورة في جانب واحد او جوانب محددة دون غيرها؟

هل دعوتنا تنتقل بالمتلقي خطوة خطوة بسلاسة تتوافق مع الوحيين والعقل والنفس؟

**فيا رفيق أقبِل واطْوِ هذه الخطوات التي ستجدها أشبه ما يكون بخريطة فيها مسارًا لتفاصيل حياتك ومستقبل أيامك بإذن الله…**